تاريخ الإرسال (6-2-2019)، تاريخ قبول النشر (08-05-2019)

مقاصد الاعتقاد بصفات رب العباد (اليدان، القبضة، الضحك)

اسم الباحث الأول: ليث سلمان داود
اسم الباحث الثاني: أ.د محسن قحطان حمدان
[1] اسم الجامعة والبلد (للأول)
[2] اسم الجامعة والبلد (للثاني)
قسم العقيدة والفكر الاسلامي كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد-العراق
* البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: drhmd_del@yahoo.com

الملخص:
قد أصبح التفكر في العناية بالجانب العقائدي في الاسلام حتما لازما، ووجوب تفعيل الفكر المقاصدي لإحياء العقائد الإيمانية في نفوس المسلمين، فقضية "المقاصد "لَتَستَحِقُّ من كلٍّ مسلم أن يتعلَّمها وأن يعلِّمها؛ لأن الله تعالى إنما شرّع الأحكام لغاياتٍ يُريدها، وكمالات تصلح عليها حال الشعوب، في الفكر أي الاعتقادات وفي العمل أي الأحكام العملية. وفي بحثنا هنا نتناول مقاصد الايمان بمفصل عظيم الأهمية ندرك فيه سر الطمأنينة في الدنيا والنجاة في الآخرة وهو صفات الله تعالى، عبر تقصينا لمقاصدها، فالبحث في صفات الله تعالى (اليد واليدان والقبضة والكف والساق، والاستواء والنزول، وصفات الحب والضحك والبشبشة والعدل ...) إنما ترشد سلوك العبد وتقوّم فعالياته حركة وسكونًا في طاعة الله خوفًا من غضبه، وطمعًا في رحمته وأملاً بكرمه في غفرانه. فالأمة في حاجة شديدة لتذكيرها بمقاصد عقائدها، بالقدر الذي يعصمها من الزلل وهدايتها من التيه في دروب العصر ويردُّها الى دينها الحق .

كلمات مفتاحية: العقيدة، صفات اللّه تعالى، المقاصد، الآثار.

The purposes of belief in the qualities of the Lord of the slaves (hands, fist, laughter)

Abstract:
: Has become the thinking in the care of the ideological aspect of Islam is absolutely necessary, and the need to activate the thinking Almqasdi to revive the beliefs of faith in the hearts of Muslims, the issue of "Maqassed" to deserve from each Muslim to learn and teach them; because Allah initiate the provisions for the purposes he wants, and the appropriate conditions for the peoples in the thought as the beliefs and in the work as the any practical judgments. In our research here, we address the purposes of faith with a very important discussion in which we are aware of the secret of tranquility in the world and the survival of the Hereafter, which is the attributes of Allah, through our search for its purposes. The search is in the attributes of Allaah (the hand, the hands, the fist, the palm and leg, leveling and descending, the qualities of love, laughter and justice).) that guide the behavior of the slave and evaluate his activities movement and silence in obedience to Allah for fear of anger, and a desire in his mercy and hope for his generosity in his forgiveness. The nation is in dire need of reminding it of the purposes of its beliefs, to the extent that it protects it from slippage and its guidance from wandering in the paths of the age and returning it to its true religion.

Keywords:

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد :

فلا يخفى على باحث أن الإسلام عقيدة وعملٌ، ولا يَصِح عملٌ بلا اعتقادٍ، فلا ينفع عمل حتى يصح الاعتقاد ، وعلى هذا فالعقيدة أعظم العلوم أهمية ؛ فالعقيدة مقدَّمة على الأخلاق، و الآداب، والعقيدة التي تصحح العبادات، و ترشّد المعاملات؛ فأوَّل واجبٍ على المكلف معرفة التوحيد قبل تعلُّم العبادات.

وهذا معلوم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فقد مكث في مكة بعد بَعثته ثلاث عشرة سنة، يعمل على تصحيح العقيدة في فكر الناس، ويعلمهم التوحيد، ولم تتنزل فرائض إلا في المدينة؛ مما يدل على أن مقدمة الدَّعوة تعليم العقيدة، وأوَّل ما تقوم الدعوة على تصحيح معتقدات الناس، وقد بعَث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى نحو أهل اليمن، فقال له :

(إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ) [(1)]

وإذن فالبحث في العقيدة إنما هو لتصحيح فساد المعتقد ، وهو أمرٌ غاية في الأهمية، فهو الأساس الذي تُبنى عليه أعمال الإنسان، كما أن سلامة المعتقد تعصم الانسان من الوقوع في خطر الشرك ورد العمل على صلاحه . كما أننا ندرُس العقيدة؛ لنتعرف على الله تعالى .

معرفة الله

فلا بد من الوثوق أن معرفة الله هو السبيل الأوحد الى طمأنينة القلب، وقرار الفكر، فلا ينفع فكرًا حائرًا إلا ملاحقةُ آيات الله وتدبرٌ في ملكوته قال تعالى :

{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) }[(2)]

{ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) } [(3)]

وقد أوضح القرآن هذه المتلازمة بين النظر والتدبر في آيات الله ، وإعمال الفكر الهادي الى معرفته تعالى، وفيها التحرر من آثار الجهل :

فمن أعظم وسائل النجاة معرفة الله تعالى، فمعرفة المخلوق ربه خالقه، يؤهله لمعرفة ما يرضيه تعالى، وما يغضبه، وكيف يُؤمنُ العاقلُ من غيرِ علمٍ ودرايةٍ وتحقق.

ورد في الحكم العطائية :(أَمرَك في هذه الدار ، بالنظر في مكوّناته، وسيكشفُ لك في تلك الدارِ عن كمال ذاته)[(4)].

ذلك أن ضعف الانسان يسلُبه الثباتَ على الحق والهدى، ولقد صرّح الله سبحانه لعبادِه بمواطن الضعف، وأعلن القرآن عن خفة الانسان ولهاته وهو يتبع تقلبات مزاجه فقال تعالى:

([1]) البخاري، صحيح البخاري كِتَابُ الزَّكَاةِ بَابُ لاَ تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ (119/2 رقم الحديث 1458).

(2) سورة العنكبوت (الآية 20)

(3) سورة يونس (الآية 101)

(4) ابن عطاء الله، الحكم العطائية (ص271) ،وابن عطاء الله السكندري (ت 709هـ) فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة لقب بقطب العارفين ترك مؤلفات كثيرة منها تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، قال عنه الذهبي :كانت له جلالة عظيمة، ووقع في النفوس، ومشاركة في الفضائل، الزركلي، الأعلام (ج222/1).

{ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) } [1]
{ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) } [2]
{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) } [3]
بل وأعلن القرآن عن استمرار تمـرّد الإنسان ، وما ذاك إلا لجهله :
{ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) } [4]
ثم يقدّم الله تعالى منهـج الترَقّي بالنفس والثبات فقال :
{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) } [5]
وأعظم ما بيّنه القرآن لتربية الانسان وتهذيب سلوكه، وطمأنة قلبه ، قوله تعالى :
{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)} [6] ليُسلم الأمر إلى الله .

وربما كان فرضًا معرفةُ الله تعالى وهو فرضٌ حقيقةً فقد أبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله الأمة، أمَرَ الله بالتعلم، فعن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...) [7]

وربما يتساءل البعض ، ولم هذا التكليف – أي يعلّمنا ما جهلنا – حسبنا أن نؤمن وكفى؟

والحق أن معرفة الله ، والوقوف على أوامره ونواهيه ، هو الهادي الى صلاح الانسانية في الدنيا قبل الآخرة، ففي معرفة الله الطمأنينةَ ، كما هوالأنس به تعالى، قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: (خَرَجَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَذُوقُوا أَطْيَبَ شَيْءٍ فِيهَا، قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا يَحْيَى؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى) [8] .

كما إن في معرفة الله تحريرَ النفس وكفايةَ العبد، وغناه؛ يقول سيدناعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (من سكن قلبَه العلمُ بالله سَكَنَه الغنى عن خلق الله) [9] .

ويستعرض ابن القيم رحمه الله آثار معرفة الله تعالى في حياة العبد فيفّصل القول في نوعي المعرفة، فيقــول: (معرفَة الله سُبْحَانَهُ نَوْعَـانِ :

معرفَة إِقْرَار وَهِي الَّتِي اشْترك فِيهَا النَّاس الْبر والفاجر والمطيع والعاصي.

وَالثَّانِي : معرفَة توجب الْحيَاء مِنْهُ والمحبة لَهُ وَتعلق الْقلب بِهِ والشوق إِلَى لِقَائِه وخشيته والإنابة إِلَيْهِ والأنس بِهِ والفرار من الْخلق إِلَيْه) [1].

(1) سورة المعارج (الآيات 19، 20، 21
(2) سورة النساء (الآية 28
(3) سورة الكهف (الآية 54
(4) سورة إبراهيم (اية 34
(5) سورة الرعد (الآية 28
(6) سورة الحديد (الآية 22
(7) مسلم، صحيح مسلم ، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ (ج4/ 2179)
(8) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج357/2)
(9) العلوي، طالب العلم والسيرة الأخلاقية (ص 16)

وعلى هذا تكون المعرفة بأجنحتها الثلاثة ، الحب، الخوف، الرجاء ، هي التي تأخذ بيد العبد الى مرضاة الله .

منزلة العلماء

من رفعة مقام العلماء أن الله تعالى رفع قدرهم فقَرَن شهادته بالتوحيد بشهادة الملائكة، وبشهادة العلماء فقال: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)[2]

ومن كرم الله أن العالم يتبعُـه علمُه بالأجر حتى بعد موته ، صرّح بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ[3].

وقد فهم الصحابة عِظم قدر العالم، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه : (مَوْتُ الْعَالِمِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) [4].

بعد هذا العرض، أفلا يلزم من الانسان الفزع الى كتاب الله، والتعرف الى الخالق بأسمائه وصفاته، وآثار معرفتنا بها بما يصلح شأنه ويطمئن قلبه.

العلم بمقاصد الاعتقاد:

يُعَدّ علم المقاصد من أعظم العلوم أهمية في حياة الانسانية، شرعيةً ربانية كانت، أم بشريّة وضعيّة، فلا ينبغي للانسان العاقل أن يتبنى فكرًا، أو منهجًا، أو فلسفة على جهلٍ، من غير التثبت والتفكر بعلل هذا الفكر والحكمة منه وغاياته.

والشريعة الاسلامية بكتابها العزيز تقدم نموذجا مثاليًا في تقصيد أحكامها، العلمية الاعتقادية والعملية، والقرآن يعرض المقاصد العقدية العظمى والمترتبـة على أصل سبب الخلق وهو الإيمان .

وهذه المقاصد هي ما وردت الدلالة عليه في مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [5]

كما تعزز القول بها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حيث يجيب على سؤال جبريل عليه السلام فقال : « الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره [6] .

وانطلاقاً من هذا، قسَّم علماء التوحيد قضايا الإيمان إلى ثلاثة أركان هي الإلهيَّات، والنبوَّات، والسمعيَّات، أو هي الإيمان بالله، وبالرسل . صلوات الله وسلامه عليهم . وبعالم الغيب.

والواضح من مقاصد الاعتقاد بها على الوجه الأوفق إنما هو الصلاح الانساني، والسلام الهادي الى طمأنينـــة القلب .

والله تعالى قد كرّم هذه الأمة ، واختصها بالقيام على ما يصلح أمر الناس وصفتها الوسطية، ولتشهد على باقي الأمم يوم القيامة ، فقال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...)[7]

فتكليف الله الأمة الاسلامية إنما بقصد توسطهم في الدين، لماذا ؟

---

(1) ابن القيم، الفوائد (ص 170

(2) سورة آل عمران (الآية 18

[3] مسلم، صحيح مسلم الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261 هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (ج3/ 1255 رقم الحديث 1631).

(4) البيهقي، شعب الإيمان (ج3/ 235 ، رقم 1590) .وأورده الآجري في أخلاق العلماء ونسبه الى كعب الأحبار (31/1)

[5] سورة البقرة (الآية 177)

[6] مسلم، صحيح مسلم، (ج 1، ص 29 الحديث رقم 3)

[7] سورة البقرة (الآية 143)

يجيب الطبري رحمه الله فيصف معالم هذه الوسطية في الأمة، فيقول:(فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها)[1].

وهذا المقصد ربما يغيب كثيرًا عن فكر الأمة، فجعله الله قرآنًا يتلى آناء الليل وأطراف النهار، لئلا تفتر عزيمة المسلمين، كما لا يتشددوا ، فلا التراخي يرضى به الله، ولا التشدد يُرضي الله، بل هو التوسط.

السلف الصالح يعيشون حياتهم على وحي العقيدة الاسلامية التي آمنوا بها :

وسيرة السلف تقدم نماذج لسلامة تلقي العقيدة وإدراك مقاصد الاعتقاد منها، فحكاية أم سُليْم خيرُ مثالٍ للعقيدة يحيى بها الانسان على وفق ما يعتقده ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال : (جاء أبو طلحة يخطب أم سُليم، – وكان لم يزل كافرًا وهي مسلمة – قالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض؟ وإنما نجَرَها حبشي بني فلان؟ قال: بلى ، قالت: أما تستحيي – وفي رواية فلا تصْحبني – تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ قالت: فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأزوجك نفسي، لا أريد منك صداقاً غيره ، قال لها: دعيني حتى أنظر ، قالت: فذهب فنظر، ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قالت : يا أنس – وأنس ابنها من مَالِك بن النَّضرِ، – قم فزوج أبا طلحة).[2]

فالفكر المقاصدي يستحضر فكرة المقصد والحكمة من كل ما يعتقده، فإن لم يدركه وقصرت معرفته عن تلمسها ، وجب الاعتقاد واليقين بمقصدٍ لها يعجز عن إدراكه،(فلَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ حُكْمٌ وَاحِدٌ إلَّا وَلَهُ مَعْنًى وَحِكْمَةٌ يَعْقِلُهُ مَنْ عَقَلَهُ وَيَخْفَى عَلَى مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ).[3]

موضوع البحث:

وموضوع بحثنا هنا سيدور حول : مقاصد الشارع من اعتقادنا بعقائدنا، وأعظمها أهمية: العلم بمقاصد إيماننا بالله، بأسماء الله وصفاته تعالى، وهو منهج وصفي يُعنى بآثار صفات الله تعالى في تقويم سلوك العبد ، فمعرفة الله تعالى تأخذ بيد الانسانية الى سعادتها في الدنيا ونجاتها في الآخرة.

منهج البحث:

ومنهجنا في تقصي المقاصد يتم من خلال تتبع مواضع ورود أسماء الله تعالى وصفاته في القران الكريم وفي صحيح السنة ، وأسباب إيرادها وغاياته ومرامي الإتيان باسم الله اللطيف في موضع بينما يرد اسم الله تعالى الرحيم في موضع آخر وكلا الاسمين ربما يعطي معنى متقاربًا، واسباب ورود صفة يد الله تعالى وليس القوة...

أسباب البحث في صفات الله تعالى :

بوصفنا دعاة الى الله تعالى يتوجب علينا رصد ظاهرة واقعة في المجتمع الاسلامي ، وهو ضعف الهمة وتراجع الشعور بالولاء الى الاسلام ، مما يوجب على علماء الأمة ومفكريها التفكر فيما يصلح الأمة ويعيدها الى المنهج الحق ، وهو طاعة الله ؛ فلا ينصلح حال آخر الامة الى بما انصلح عليه أولها ، وايماننا بصفات الله يلقي بآثار عظيمة الأهمية في ترشيد سلوك العبد واستدعائه من طرقات التيه والضلال .

ومن هنا كان لزاما الخوض في مقاصد اعتقادنا بكل مفاصل ديننا لاسيما العقيدة والاعتقاد فحركة الانسان تابعة لفكره وما يؤمن به .

([1]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ج3/ 142)

([2]) النسائي، السنن الكبرى (ج5/ 179رقم الحديث 5374)

([3]) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج51/2)

الكتابة في مقاصد العقيدة:

من العلماء من بحث في مقاصد العقيدة الاسلامية إجمالًا ، ندرج في أدناه طائفة منهم :

1-الإمام الغزالي رحمه الله : عرف بإثارته بحث (الأسرار) – وهي لا ريب نعدّها مقاصد – إذ يعرض فضل العقائد في كتابه – سراج الطالبين .

2- ثم تعود مقاصد العقيدة لتكون أشد وضوحًا عند سلطان العلماء عزالدين بن عبد السلام (577-660هـ) فجعل يتحدث عن أسرار ومقاصد اعتقادنا نحو: وحدانية الله وتفرّده بالسلطان في الكون وغايته:

(معاملته بمقتضى توحيده بأن لا نعبد غيره إذ لا إله سواه، ولا نتوكل سوى عليه، إذ لا مفزع إلا إليه، ولا نحب أحدًا كحبه، إذ لا جمال كجماله، ولا نُجلُّ أحدًا كإجلاله، إذ لا نظير لكماله ،ولا نشكر أحدًا كشكره، إذ لا منعم غيره إذ لا محسن سواه، ولا نرهب إلا سلطانه، إذ لا ملجأ إلا إليه....) (1)

ولنصل الى المعاصرين ، حيث ابتدأ الحديث صريحًا وباسم المقاصد ، وعَدّوه علمًا عظيم الأهمية ومنهم :

- الدكتور أحمد الريسوني الذي دعا الى إعادة البحث في مقاصد العقائد وعدّها أعظم العلوم أهمية فقال :

من أهم المجالات والآفاق التي على البحث المقاصدي ارتيادها وإلحاقها بمجالات الدراسات المقاصدية، وأعني به البحث في (مقاصد العقيدة الإسلامية)، تماما مثلما بحث السابقون ويبحث المعاصرون في (مقاصد الشريعة الإسلامية)، وليست شرائع الإسلام أولى بالعناية وبالبحث عن مقاصدها من عقائد الإسلام.(2)

- كما وبحث الدكتور جاسر عودة (3) في المقاصد وله مؤلفات ومحاضرات في مقاصد الاعتقاد منها :

كلمات الحكمة – رحلة مع حكم ابن عطاء الله، و محاضرات بعنوان :لإسلام العقائد والمقاصد،

ومن العلماء من كتب في مقاصد وآثار صفات الله تعالى في العبد :

1- ومن حِكم الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري (ت 709هـ) والتي عرفت بحكم ابن عطاء الله، وقد سمّاها الأسرار والحكَم والمصالح الدينية والدنيوية التي يحصّلها العباد من اعتقاده بصفات الله، وما قصده الله عز وجل من تجليه على عباده (عطاء أو منعاً) أي المعطي والمانع ، وهو الذي بيده الخير تعالى وهو على كل شيء قدير .[4]

2- ثم كتب إمام الهند شاه ولي الله الدهلوي (1114- 1176هـ) كلاماً نفيسا تعرّض فيه لمقاصد العقائد في الإيمان بالله تعالى، وذلك في أبواب متعددة من كتابه (حجة الله البالغة) منها باب الإيمان بصفات الله تعالى، جاء فيه: (اعْلَم أَن من أعظم أَنْوَاع البر الْإِيمَان بِصِفَات الله تَعَالَى، واعتقاد اتصافه بهَا، فَإِنَّهُ يفتح بَابًا بَين هَذَا العَبْد وَبَينه تَعَالَى ويُعده لانكشاف مَا هُنَالك من الْمجد والكبرياء)[5] وهذا مقصد من ايماننا بصفاته .

([1]) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (28/1)

([2]) البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله،الدكتور أحمد الريسوني (1/ 18)

([3]) جاسر عودة هو أحد علماء ومفكري مقاصد الشريعة، أستاذ كرسي الإمام الشاطبي بجامعة السلام العالمي بجنوب أفريقيا، ورئيس لمعهد المقاصد وهو مركز بحثي فكري دولي مسجل بالولايات المتحدة الأمريكية، ، وهو عضو مؤسس وعضو مجلس أمناء ورئيس لجنة الدعوة بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين . الموقع الرسمي للدكتور جاسر عودة.

(4) العارف بالله الشيخ الإمام أحمد بن عطاء الله السكندري رحمه الله فقيه، ومحدِّث، ونحوي، عاش ابن عطاء الله في القرن السابع الهجري في الإسكندرية المصرية، وتوفي في بدايات القرن الثامن الهجري (709 هـ) كتابه الشهير الحكم العطائية وهي مائتان وأربع وستون حكمة وأغلبها خطاب موجّه الى المريد السالك لطريق الصوفية. ابن عطاء الله، الحكم العطائية شرح ابن عباد النَّفْزي الرُّندي (1/ 37).

([5]) حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي (ت 1176هـ) تحقيق السيد سابق دار الجيل، بيروت – لبنان (1/ 122) هو علّامة الهند الإمام المجدد من أسرة علم وفضل ، من كتبه شرح تراجم أبواب البخاري ، وكتب في العقيدة وأصول الدين كتابه (حجة الله البالغة) ويعتبر هذا الكتاب لدى المحققين من

خطة البحث:

سنعتمد في بحثنا على التفكر في صفات الله تعالى معانيها أسرارها ومقاصده إيماننا بها ، فيدور في الموضوعات الآتية :

المبحث الأول: تعريف الصفة وتقسيم الصفات

المطلب الأول: تعريف الصفة وحكم إطلاق لفظ الصفة في حق الله تعالى.

المطلب الثاني: تقسيم الأوائل للصفات.

المطلب الثالث: تقسيم علماء الكلام لصفات الله.

المطلب الرابع: تقسيم العلماء المتأخرين – أي المعاصرين – للصفات وخلاصة القول فيه

المبحث الثاني: الصفات

صفات، المقصد من اعتقادنا بها حب الله:

المطلب الأول: صفة اليد ، اليدان ، الكف، والمقصد من اعتقادنا بها

المطلب الثاني: صفة الحب، والمقصد من اعتقادنا بها

المطلب الثالث: صفة الضحك والبشبشة. والمقصد من اعتقادنا بها

المطلب الرابع: صفة العدل والمقصد من اعتقادنا بها

الخاتمة وتشتمل على النتائج والتوصيات...

المبحث الأول :تعريف الصفة وحكم إطلاق الصفة على الله تعالى :

المطلب الأول: تعريف الصفة وحكم إطلاق لفظ الصفة في حق الله تعالى.

يشرح ابن فارس لفظ الصفة فيقول : (وَصَفَ الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالْفَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ، هُوَ تَحْلِيَةُ الشَّيْءِ. وَوَصَفْتُهُ أَصِفُهُ وَصْفًا. وَالصِّفَةُ: الْأَمَارَةُ اللَّازِمَةُ لِلشَّيْءِ)[1].

حكم إطلاق الصفة على الله تعالى : وصفُ الله تعالى، والقولُ بصفاته، مشروع لما ورد عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟)، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: (لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا،) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ)[2] وقد علّق ابن حجر رحمه الله في شرحه الحديث على الصفة فقال: "وَفِي حَدِيثِ الْبَابِ حُجَّةٌ لِمَنْ أَثْبَتَ أَنَّ لِلَّهِ صفة وَهُوَ قَول الْجُمْهُور "[3].

وقد كتب العلماء وأفردوا أبوابًا للبحث في الصفات منها :

- كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل لابن خزيمة رحمه الله (ت311هـ)
- وابن منده (310–395هـ) في كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته. وغيرهما رحمهم الله.

أهم كتب الإمام ولي الله الدهلوي على الإطلاق، كتبه باللغة العربية وكتاب حسن العقيدة ، هوكتاب (التفهيمات الإلهية)كتاب باللغتين العربية والفارسية، الأعلام للزركلي(1/ 149)

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج6/ص115).

(2) البخاري، صحيح البخاري–كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى(ج9/ص115 – رقم الحديث: 7375).

(3) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج 13/ص356). وأضاف بقوله : وشذّ ابن حزم ومنع لفظ الصفة بدعوى تضعيف الحديث لضعف أحد رواته (سعيد بن ابي هلال) بينما أكّد ابن حجر من جانبه على صحة الحديث وانه (أي سعيد) متفق على الاحتجاج به، فلا يلتفت الى قول ابن حزم.

• ولن نبحث في ما وقع من الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الصِّفَاتِ، تأسّيًا بالسلف الصالح وعملًا بما نهوا عنه، وقد أوضح البغوي رحمه الله (ت 516هـ) هذا الاتفاق فقال في شرح السنة: "اتَّفَقَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الصِّفَات"(1)

المطلب الثاني: تقسيم العلماء الأوائل الصفات :

الإمام أبو حنيفة رحمه الله، فقد قسم صفاته تعالى في كتابه الفقه الأكبر الى ذاتية وفعلية، فقال:

والله لم يزل وَلَا يزَال بأسمائه وَصِفَاته الذاتية والفعلية، ثم فصّل فيها فقال (2) :

• اما الذاتية فالحياة وَالْقُدْرَة وَالْعلم وَالْكَلَام والسمع وَالْبَصَر والارادة

وَأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وَغير ذَلِك من صِفَات الْفِعْل لم يزل وَلَا يزَال بصفاته وأسمائه.

وهذا ما ذهب اليه الشافعي هو الآخر رحمه الله في عرض صفات الله حيث قال :واعلموا أن الباري تعالى حيٌّ عليم قادر سميع بصير مريد متكلم باق، وهذه الصفات أزلية موجودة بذاته، لم يزل ولا يزال هو بهذه الصفات.(3)

والبيهقي رحمه الله (ت 458هـ) جاء من بعدُ، فقسّم هو الآخر صفات الله تعالى، فقال فيها : "فلِلَّهِ عَزَّ اسْمُهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ، وَأَسمَاؤُهُ صِفَاتُهُ، وَصِفَاتُهُ أَوصَافُهُ، وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا صِفَاتُ ذَاتٍ، وَالْآخَرُ صِفَاتُ فِعْلٍ"(4).

المطلب الثالث: تقسيم علماء الكلام لصفات الله :

ذهب المفكرون من علماء الكلام الى تقسيم صفات الله تعالى على ثلاثة أقسام ، فقد نظم اللقاني رحمه الله (5) منظومة جوهرة التوحيد وراح العلماء يتنافسون في شرحها ووضع حواش لها وتقريرها ، وجاء فيها تقسيم عام للصفات بصورة مجملة نحو :

فَكُلُّ مَنْ كُلِّفَ شَرْعاً وَجَبَا *** عَلَيْه أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجبَا.

لِلهِ والجـائـِـزَ والمُمتنِعَا *** ومَثِلِ ذا لِرُسْلِهِ فاستمِعا.(6)

فصفاته تعالى حسب تقسيم المتكلمين بإجمالٍ ثلاثةُ أقسام: مايجب في حقه تعالى ، وما يستحيل ، وما يجوز.

وعدّوا معرفتها أول الواجبات فقال السفّاريني رحمه الله (ت 1188هـ) :

أول الواجبات معرفة الله وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ تَعْدَادِ الصِّفَاتِ الَّتِي يُثْبِتُهَا الْمُتَكَلِّمَةُ كَالسَّلَفِ وَأَسْمَائِهِ تعالى وَكَلَامِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كما قرر السفاريني رحمه الله وغيره ، وجاء في منظومته المسماة الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِالتَّسْدِيدِ (7).

---

(1) البغوي، شرح السنة (ج216/1).

(2) أبو حنيفة: الفقه الأكبر وينسب لأبي حنيفة، (ص16)

(3) عبد الله محمد ياسين، الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر للأمام الشافعي، (ص 70و71).

(4) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث لـ أبو بكر البيهقي (ت 458هـ) تحقيق أحمد عصام الكاتب : دار الآفاق الجديدة (70)

(5)إِبْرَاهِيم بن حسن الملقب برهَان الدّين اللَّقَّانِيّ الْمَالِكِي (ت 1041هـ)أحد الْأَعْلَام الْمشَار إِلَيْهِم بسعة الِاطِّلَاع فِي علم الحَدِيث والدراية والتبحر فِي الْكَلَام،أهم آثاره منظومته فِي علم العقائد الَّتِي سَمَّاهَا بجوهرة التَّوْحِيد . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (ت1111هـ) (ج6/1)

(6) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (33البيتان 9و10)

(7) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (112/1)

المطلب الرابع: تقسيم المتأخرين – أي المعاصرين – للصفات وخلاصة القول فيها

يذكر الشيخ محمد بن الصالح بن العثيمين رحمه الله (ت 1421هـ) (1) ويتبعه الشيخ محمد بن خليفة بن علي التميمي (2) ابتداءً أن القول في أقسام الصفات : أنها من حيث العموم نوعان :

الأول : صفات نقص : يجب تنزيه الله عنها مطلقاً؛ كالموت، والعجز، والجهل

والثانــي: صفات كمال؛ يمتنع أن يماثله فيها شيء (3)

ومن ثم قد تنوعت تقسيمات أهل العلم من المعاصرين للصفات مثل :

الشيخ علوي بن عبد القادر السَّقَّاف (4) ،

وذلك بحسب الاعتبارات التي يرجع لها كل تقسيم،

أولاً: من حيث إثباتها ونفيها.

ثانياً: من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله.

ثالثاً: من حيث أدلة ثبوتها .

وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ينقسم إلى نوعين:

أولاً: من حيث إثباتها ونفيها:

صفات ثبوتية: وهي ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كالاستواء، والنُّزُول، والوجه، واليد... ونحو ذلك، وكلها.

أ- صفات سلبية: وهي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص؛ كالموت، والسِّنة، والنوم، والظلم.

ثانياً: من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله:

صفات ذاتيَّة: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين... ونحو ذلك.

صفات فعليَّة: وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كالمجيء، والنُّزُول، والغضب.

وأفعاله تعالى – أي الصفات الفعلية – قسمان:

أفعال لازمة لذاته: كالاستواء، والنُّزُول، والإتيان... ونحو ذلك.

متعدية الى المخلوق: كالخلق، والإعطاء... ونحو ذلك.

ثالثـاً: من حيث ثبوتها وأدلتها:

أ– صفات خبرية: وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وتسمى (صفات سمعية أو نقلية)، وقد تكون ذاتِيَّة؛ كالوجه، واليدين، وقد تكون فعليَّة؛ كالفرح، والضحك.

ب– صفات سمعية عقلية: وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي) والدليل العقلي، وقد تكون ذاتِيَّة؛ كالحياة والعلم، والقدرة، وقد تكون فعليَّة؛ كالخلق، والإعطاء.

ويعلّق السقّاف على تقسيمات الصفات هذه بأنها حادثة، لم يعرفها السلف الأوائل (1)

---

(1) العثيمين: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص21)

(2) محمد بن خليفة بن علي التميمي عميد البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. من مؤلفاته : معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات

(3) التميمي، الصفات الإلهية تعريفها، (ص57)

(4) السَّقاف، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، (ج1/31)، والسقاف له اهتمام خاص بمسائل التوحيد والعقيدة ووضع مؤلفات منها: مختصر كتاب الاعتصام للشاطبي، وتحقيق كتاب منظومة سلم الوصول إلى مباحث علم الوصول

وهذه الصفات ليست بدعًا أحدثه المعاصرون ، وإنما له أصل ، فقد قسمها على وفق هذه التقسيمات أبو القطان الفاسي رحمه الله (ت 681هـ) فقال :

(أسماء الله تعالى وصفاته تنقسم أقسامًا فمنها ما أجمعوا عليه أنها من صفات الذات، ومنها ما أجمعوا عليه أنها من صفات الفعل) (2) .

خلاصة القول في تقسيم الصفات الإلهية:

ت- والحق أننا لو أجرينا استقراءً في نصوص الكتاب وصحيح السنة ، بقصد تتبع وإحصاء صفات الله تعالى، وبقواعد اعتمادها الصحيحة ، وتصنيفها ، لوقفنا عند حقيقة واضحة كونها لا تخرج عن هذه التقسيمات التي قال بها علماؤنا رحمهم الله جميعًا وغفر لنا ولهم .

ث- على أننا نؤمن يقينًا جازمًا بإثبات ما وصف تعالى به نفسه ووصف به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ونرجو به الحق ، ونأمل من الله السداد والرضا، ولا يسعنا الا نستحضر مقالة الامام ابن بطة رحمه الله (ت 387هـ) فلا أَوْقعَ في القلب من قوله، فننقله كما هو : (نَعْبُدُ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، قَدْ أَجْمَلَ الصِّفَةَ لِنَفْسِهِ، وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ وَنَصِفُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ شَنَاعَةً شُنِّعَتْ، وَلَا نُزِيلُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ كَلَامٍ، وَنُزُولٍ وَخُلُوِّهِ بِعَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَضْعِ كَنَفِهِ عَلَيْهِ، هَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَالتَّحْدِيدُ فِي هَذَا بِدْعَةٌ، وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ بِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا عَالِمًا، غَفُورًا، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عَالِمَ الْغُيُوبِ، فَهَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، لَا تُدْفَعُ، وَلَا تُرَدُّ، وهَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ وَأَسْمَاؤُهُ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ بِلَا حَدٍّ) (3)

ج- وما دمنا ندرس المقاصد العقدية لصفات الله تعالى ، وأثرها في سلوكيات الانسان ، فنحن نؤمن أن اعتقادنا وإيماننا بصفات الله تعالى تلقي في القلب حب الله كما إن بعضها توقع في القلب الخوف منه تعالى ، وبعضها يبعث في القلب الأمل والرجاء برحمته تعالى .

المبحث الثاني: الصفات ، ومقاصد الاعتقاد بها

يقتصر بحثنا هنا في صفات توحي في قلب العبد حب الله وشوقًا للقائه تعالى .

المطلب الأول :صفة اليد ، اليدان ، الكف.

معنى اليد في اللغة : ذهب العلماء الى عرض معانٍ لليد التي ألفوها وهي يد المخلوق ، فمثاله:

فسّرها الجوهري رحمه الله بالقوة فقال : (اليدُ: القوّةُ. وأَيَّدَهُ، أي قوّاه.) (4)

في حين جمع ابن حجر رحمه الله لليد أكثر من عشرين معنى نعرض طائفة منها حيث يقول :

(وَالْيَدُ فِي اللُّغَةِ تُطْلَقُ لِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ اجْتَمَعَ لَنَا مِنْهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مَعْنًى مَا بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ :

الْأَوَّلُ :الْجَارِحَةُ

الثَّانِي : الْقُوَّةُ

والثَّالِث : الْملك،

الرَّابِع :الْعَهْد يَد الله فَوق أَيْديهم وَمِنْهُ قَوْلُهُ هَذِي يَدَيَّ لَكَ بِالْوَفَاءِ

الْخَامِسُ : الِاسْتِسْلَامُ وَالِانْقِيَادُ

(1) ينظر: السَّقَّاف، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (حاشية ص 31)

(2) ابن القطان، الإقناع في مسائل الإجماع (ج37/1)

(3) ابن بطة، الإبانة الكبرى (ج326/7)

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2540/6).

السَّادِسُ : النِّعْمَةُ

السَّابِعُ : الْمُلْكُ قُلْ ان الْفضل بيد الله الثَّامِنُ الذُّلُّ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ......) (1)

فعلى هذا يكون معنى اليد : هو وصف جارحة الانسان، فإن اليد مظنة القوة والبطش كما أن الرِّجْل معتمد السعي للإنسان.

وأما معنى اليد والكف في حق الله تعالى مختلف:

فهي صفة ثبوتية أي ثابتة لله تعالى.

وصفة ذاتية من حيث تعلقها بذات الله.

وهي صفة خبرية أي سمعية نقلية من حيث أدلة ثبوتها (2) .

وهي صفة كمال وجمال لله تعالى.

وقد أكّد ابن القيم رحمه الله صفة اليد لله تعالى وهو يستعرض مواطن ورودها ونعرض جانبًا منها حيث قال : (وَرَدَ لَفْظُ الْيَدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ وُرُودًا مُتَنَوِّعًا مُتَصَرَّفًا فِيهِ مَقْرُونًا بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا يَدٌ حَقِيقَةً ، : مِنَ الْإِمْسَاكِ وَالطَّيِّ و الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالْمُصَافَحَةِ و الْحَثَيَاتِ وَالنَّضْحِ بِالْيَدِ، وَالْخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ وَالْمُبَاشَرَةِ بِهِمَا وَكَتْبِ التَّوْرَاةِ بِيَدِهِ وَغَرْسِ جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ وَتَخْمِيرِ طِينَةِ آدَمَ بِيَدِهِ وَوُقُوفِ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَوْنِ الْمُقْسِطِينَ عَنْ يَمِينِهِ ...) (3)

وقد أكد القرآن اليد واليدين والأيدي صفةً لله تعالى: { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) } (4)، ويؤكد الطبري رحمه الله صفة اليد لله تعالى بقوله : (يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه.) (5) ليتوافق مع ما ذهب اليه ابن القيم رحمه الله

وهذا ما يؤكد رعاية الله تعالى للصادقين، ويد الله فوق أيديهم ، أي :(قوّة الله فوق قوّتهم) بحسب تفسير الطبري رحمه الله (ت 307هـ) (6) بينما قال الفرّاء رحمه الله (ت 207هـ)(يَدُ اللَّه في الوَفَاء فَوْقَ أَيْدِيهم) (7) لهؤلاء الثابتين على منهج رسوله والمجددين بيعة الاتباع له صلى الله عليه وآله وسلم على مر الزمن.

مقاصد الاعتقاد بصفة اليدين والكف لله تعالى:

إن من أعظم صفات الكمال ان تكون لله يدٌ بل يدان، وقد عرض القران فعالية يدي الله تعالى في الكون في خلقه في صنعه وإتقانه الخلق، في كل مواقف البشرية في مسيرتها في الحياة الدنيا ولنقف على حقيقة عظيمة وهي: لا يستقيم الكون والخلق ومصالح الانسانية بلا فعالية في يدي الله،لتتضح مقاصد وجوب الإيمان بيدي الله، هذه الصفة العظيمة وسنطوف على مواضع ورودها في الكتاب والسنة لعرض ميادين فعل يدي الله:

1- { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا

([1]) ابن حجر، فتح الباري (ج394/13).

([2]) السَّقَّاف، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، (ص52)، جامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص207)

([3]) ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ص405)

(4) سورة ص: (الآية: 75).

(5) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (239/21)

([6]) الطبري، جامع البيان (22 / 210)

([7]) الديلمي، جامع البيان معاني القرآن (ج65/3)

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64) } (1) وهنا تأكيد أن يدي الله مبسوطتان في جود وفي كرم ينفق على العباد كل العباد الصالحين والمسيئين، المؤمنين والكافرين، ولن يحرم عبد بل مخلوقٌ الرزقَ لإساءته أو كفره أو إعراضه عن الله، فيد الله مبسوطة بالخير، وهذا ما يلقي في القلب حب الله :

الذي يرزق بسخاء، ويصد عن المؤمنين ساعة يوقد أعداؤهم نيران الحروب فيطفئها الله تعالى .

2- ويعرض القران مشهد إرسال الرياح تجوب أرض الله تتقدم رحمته التي بين يديه ذلك أن الرياح مظنة نزول الماء وسقاية الزروع وطرح الثمر بالخيرات نعمة من الله ، يد الخير. قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57)} (2) فالعبد يحب ربّه الذي يهيّء له أسباب الحياة والمعاش.

3- وفي مشهد كرم الله ساعة استجواب إبليس وقد أبى الامتثال لأمره تعالى { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75)} (3) لنسجل تكريم الله الذي خلق أول البشرية بيديه تماما كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُجْمَعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ المَلاَئِكَةَ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ"(4) وهذه حجة الامام أبي الحسن الأشعري في إثبات صفة اليدين لله فلو كان مقصود الله بيديه القدرة ما كان لآدم على إبليس فضل وإنما أراد تعالى عرض تكريم آدم بأن خلقه بيديه(5) ثم ليطال التكريم بني آدم أجمعهم وهذا ما يورث احترام الانسان لنفسه فيقيم الاعتبار لمن خلقه بيديه فيعظم الله ويتقيه ويحبّه امتنانا لهذا الكرم ، ويد الله أنعمت بالخير على بني إسرائيل حيث خط الله لهم التوراة بيده، جاء في الصحيح عن أَبي هُرَيْرَةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى" ثَلاَثًا (6)، والتوراة كانت هدىً ونورا لبني إسرائيل يهتدون بها في معاشهم ورحمةً يقول تعالى : {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154)} (7)، وفي سورة المائدة { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } (8) وكان الأولى ببني إسرائيل حب الله وطاعته لكرمه معهم ، غير أن القرآن ما سجل الا تمردهم ، فحرموا أنفسهم من عظيم النعم وهو حب الله .

4- كما وردت صفة اليد جمعاً في فعل الله لما يصلح حال الانسانية { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71)} (9) ليؤكد في صفة الأيدي معنى الكرم و الإنعام بالخير على الانسانية، والله تعالى يبسط يده لاستقبال توبة المسيء من عباده ليلًا ونهارًا وهذا ما أوضحه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ

---

(1) سورة المائدة: (الآية: 64).

(2) سورة الأعراف: (الآية: 57).

(3) سورة ص: (الآية: 75).

(4) البخاري، صحيح البخاري – كتاب التوحيد – باب: قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) (ج9/ ص148 – رقم الحديث: 7516).

(5) الجامي، الصفات الالهية في الكتاب والسنة، (ص305).

(6) البخاري، صحيح البخاري–كتاب القدر – باب: تحاج آدم وموسى عند الله (ج8/ص126 – رقم الحديث: 6614)، صحيح مسلم –كتاب القدر– باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (ج4/ص2042 – رقم الحديث: 2652)

(7) سورة الأنعام: (الآية 154).

(8) سورة المائدة: (الآية: 44).

(9) سورة يس: (الآية: 71).

النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (1) ولتكون يد الله تعالى في مقام الرحمة بالعباد والتوبة عليهم وهذا كائن حتى قيام الساعة.

5- والله ينفق على العباد، ويده ملأى لا يُنقِصها نفقة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ" (2) وإذن فالله عزوجل يدٌ، بل يدان تليقان به وهي صفة تعظيم وإجلال، والقرآن يؤكد كما يؤكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن هذه الصفة العظيمة ما وردت في الكتاب والسنة الا في مقام الخلق والتكريم والرحمة والرّزق، { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) } (3) وهذا ما يوقع في القلب حب مالك الملك وعظمته في ملكه .

ويد الله تكفلت العناية بالصالحين والدفاع عنهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ:....وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا" (4) وإنما قول الله هنا يؤكد عظم رعاية الله لأوليائه ما يوقع حب الله في قلوب عباده.

كما أكد هذه العناية في يد الله تعالى قولُه صلى الله عليه وآله وسلم: (أتاني الليلة ربي – تبارك وتعالى – في أحسن صورة – قال: أحسبه قال: في المنام ، فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال: فوضع يده بين كتفيّ، حتى وجدت بردها بين ثدييّ، فعلمت ما في السموات، وما في الأرض.[5] ليؤكد عظيم عنايته تعالى بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، ما يثير الحب في قلوب أتباعه لله تعالى .

6- ويد الله تعالى مبسوطة بالخير حين يتوب من ضعف فأساء العمل وعصى الله، فعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (6) وعظمة رحمة الله بعباده توقع حبه في قلوبهم ، فإذا كان المسيءُ تمتد له يد الغفار بالتوبة فكيف بالمطيع.

7- وأما صفة الكف فقد أثبتهاَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في ما يرويه أَبو هُرَيْرَةَ،: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ» (7) ، وهذا يلزم منا اعتقاد عظمة مباركة الله لصدقة عبده يخرجها يبتغي صادقًا مرضاة ربه ، فيلقي الحب في قلب المتصدق ليزيد أملا ببركة الله تعالى .

وليؤكد المقصد الأعظم وهو أن في ذكر الكف مع اسم الرحمن مضاعفة الأجر والإنعام بالخير على من تصدق صدقة طيبة ومن حلال، وهذا المشهد انما يورث في القلب حب التصدق ومن الطيب عسى أن ينالها كف الرحمن فتلحقها عظم البركة ، فتكون له رصيدا يوم الحساب.

([1]) مسلم، صحيح مسلم ، كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ (ج4/2113 رقم الحديث 2759)

(2) البخاري، صحيح البخاري ،كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: (لما خلقت بيدي) (ج9/ ص122 – رقم الحديث: 7411).

(3) سورة آل عمران: (الآية: 26).

(4) البخاري، صحيح البخاري (ت 256هـ)، كتاب الرِّقَاقِ ، باب التواضع (ج8/ 105 رقم الحديث 6502)

(5) رواه الترمذي في السنن (ج5/ص220 – رقم الحديث: 3233 – 3234) – قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي مسند الإمام أحمد– مسند بني هاشم (ج5/ص437 – رقم الحديث 3484) كلاهما عن ابن عباس. وقال أحمد شاكر في (مسند أحمد) (5/ 162) إسناده صحيح وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (290/1 رقم الحديث 408)

(6) مسلم، صحيح مسلم (ت 261هـ) كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (ج4/ ص2113 – رقم الحديث: 2759).

(7) مسلم، صحيح مسلم–كتاب الزكاة– باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (ج2/ص702 – رقم الحديث: 1014).

8- يتلمس الانسان من هذا العرض آثار الفاعلية في الخير من يدي الله وكف الله والتي توحي بالتدبير والتقدير والرزق والبركة. بل ومن أعظم مقاصد الاعتقاد بصفة اليد لله هو دفع الاذى عن العباد ،وهو مقدم في الضرورة على مظنة الفائدة .

9- وبعد هذا العرض وجب على المؤمنين الاعتقاد والإيمان بأن الله تعالى من جمال صفاته وكمالها أن له يدين وان له كفاً وقبضة ينال الخلق كل الخلق منها الخير.

اليمين والشمال:

وصف القران يد الله بأنها يمين وأعلنها بلغة عربية واضحة { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)} (1)

كما أن يمين الله تجود بكل خير حين تتقبل صدقة العبد يخرجها رجاء مرضاة الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ قَلُوصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ»(2) ونحن قد آمنا أن لله يدين وهذه يمينه فهل توصف الأخرى بالشّمال ؟

من المرويات ما يؤكد أن لله يميناً وله أخرى شمالاً:

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟" (3) وهذا ما يُظهر لنا بوضوح أن لله يدين أحداها يمين والأخرى شمال .

ومن المرويات ما يشير أن كلتا يديه يمين:

وهذا ما أوضحه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (4)

وتبنّى بعض العلماء هذا القول ومنهم ابن خزيمة رحمه الله الذي دافع عن هذا الرأي بدعوى أن اليسار نقص يتنزه عنه الله تعالى وانما هو (أي اليسار) من صفة المخلوقين(5)

والحق أننا نستطيع القول : ليس بالضرورة إذا وصفت بالشمال في حق الله أن تكون صفة نقص إذ إن كل ما وصف الله به نفسه كمال، ولا يشبه صفات المخلوقين، وهذا ما يلزمنا الوقوف فيه .

وقفـــة:

يثير الفكرَ هنا أمرُ الخلافِ بين ثبوت الشمال لله تعالى وبين الاصرار على اليمين، ويظهر أنَّ المنع من إطلاق اليسار على يد الله عزَّ وجلَّ إنما هو من جهة التأدب فحسب؛ بقصد التنزيه، وهنا نقول:

من يقطع بأن اليمين في كلتا يديه تعالى كمالٌ وفي ثبوت اليمين واليسار نقصٌ؟ فلربما يكون في اليمين واليسار كمالٌ والله أعلم، ونحن نؤمن أن الله يتصف بصفات جمال وكمال ونحن لا ندرك كيف يكون هذا الكمال، هل يكون بيمينٍ وشمال، أم بيمين كلتيهما، فالله تعالى كماله لا يشبهه كمال البشر يقول الجوهري رحمه الله (يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه)(6) ولئن كانتا

(1) سورة الزمر: (الآية: 67).

(2) مسلم، صحيح مسلم – كتاب الزكاة – باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (ج2/ ص702 – رقم الحديث: 1014).

(3) مسلم، صحيح مسلم – كتاب صفة القيامة الجنة والنار (ج4/ ص2148 – رقم الحديث 2788).

(4) مسلم، صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (ج3/ ص1458 – رقم الحديث: 1827).

(5) ابن خزيمة، كتاب التوحيد، (ج1/ص159).

(6) الفقه الأبسط من كتاب الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة النعمان) (ص159)

يميناً كلتيهما، أو كانتا يميناً وشمالاً، فكلتاهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء على خلقه من غير تأثيرٍ لأحد في إرادته وهذا ما يبعث في القلب حباً لله تعالى وطمأنينة في رزقه على أية حالٍ.

المطلب الثاني: صفة الحب.

المعنى اللغوي:

وصف ابن فارس رحمه الله الحب فقال: الحبُّ: ضده البغض. (1) والحب: انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه(2)

وأخضع الراغب رحمه الله الحب الى الحكمة فقال:المحبة هي إرادة ما تراه أو تظنّه خيرا (3)

والحب صفة لله فِعْلِيَّةٌ ثابتةٌ له تعالى في الكتاب والسنة، { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)} (4)، وهي صفة جمال تؤسس لعلاقة العبد بربــه.

مقاصد الاعتقاد بصفة حب لله تعالى:

أعظم مقاصد الايمان بصفة الحب هنا، هو اليقين أن الطريق الأوحد للنجاة في الدنيا والآخرة ، هو الحب بين العبد وربه، وإن قصّر في عمله، فلا يستقيم حال العبد حتى يحبَّ اللهَ على كل حاله، وإن ساءت حالُه، ولن يُقبل منه عملٌ حتى يؤديَه وهو يحبُّ الله، فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة، فقام النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى الصلاة، فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن قيام الساعة، فقال: الرجل أنا يا رسول الله ، قال: ما أعددت لها، قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صوم ، إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت، فما رأيت فرِحَ المسلمون بعد الإسلام فرحهم بهذا (5)، فالحب تأسيس للطاعة، بل عاب الله تعالى وذم أولئك الذين جعلوا له أندادًا وأحَبُّوهم كحبه تعالى فقال:{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)} (6)

وقد ثبتت صفة الحب عند الله تعالى في الكتاب، فقد وردت في غير موضع، لتعرض سبلًا يسلكها العبد لبلوغ حب الله، ومنها:

الانفاق وبذل المال في سبيل الله ثقة بأن المال لله تعالى خالصًا ، وإنما الغني مستأمن فحسب ،وإن في الاحجام عن التصدق هلاكًا للعبد، وقد أُمرَ العبد بالإحسان مع الانفـاق، وهذا أمر الله فلا مناص من الإلتزام بما أمر الله طمعا في حب الله { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)} (7)

---

(1) ابن فارس، مجمل اللغة (ص130).

(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص81) والمناوي رحمه الله ولد وعاش في القاهرة وتوفي فيها له تآليف كَثِيرَة أهمها فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير وهو شرح مطول على كتاب الجامع الصغير للسيوطي. ابن فضل الله الدمشقي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (ج2/ص193).

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص214).

(4) سورة البقرة: (الآية: 195).

(5) الترمذي، سنن الترمذي (ج5/ص385 – رقم الحديث: 2385) وقال عنه حديث صحيح، كما صححه الالباني في صحيح، الروض النضير (ص104)

(6) سورة البقرة: (الآية: 165).

(7) سورة البقرة: (الآية: 195).

1- إنّ الله تعالى كما يحب المنفقين ، فهو يحب المسلم عفيف النفس، طاهر القلب، الذي يضبط شهوته على حدود الله التي حدّها في منهج العلاقة الزوجية فقد أحب الله هؤلاء فقال: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)} (1)

2- أعلن القرآن عن حب الله لأولئك الذين يوفون بالعهد ويؤدون الأمانات، وهذا خطاب موجه لأهل الكتاب وغيرهم فقال تعالى { بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) }(2)

3- ويؤكد السفاريني (ت 1188هـ) رحمه الله اتفاق الأمة على إثبات صفة الحب عند الله فيقول: (الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا، وَجَمِيعُ مَشَايِخِ الطَّرِيقِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ وَيُحَبُّ لِذَاتِهِ) (3) .

4- صرّح كلام الله تعالى بالثناء على أخلاقٍ تعين العباد في حياتهم، وتنظم شؤون معايشهم، وتعلق قلوبهم بحبه تعالى، وهؤلاء هم من الصابرين، والمقسطين في الحكم بين الناس،والمتوكلين، والمتقين، وكان في مقدمة المتقين المحبين لله تعالى أميرُ المؤمنين عليٌ بن أبي طالب عليه السلام كما أوضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ - أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ - غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ "، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ)(4). فمن ابتغى حب الله ورجاه ، وجب أن يتتبع سيرة أمير المؤمنين ويتأسى به رضي الله عنه في دقائق حياته، فذلك سبيل بلوغ حب الله.

5- وفي مقابل حب الله الذين ذكرنا، فكلام الله تعالى يبيّن في مواضع أخرى أنه تعالى لا يحب العاصين الذين وصفهم في كتابه، وقد جعل عقوبتهم حرمانهم من حبه، وما ذاك إلا لتغليظ العقوبة، فمن أسوأ ممن يبغض الله، هؤلاء الذين ذكرتهم الآيات الآتية :

6- { إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205)} (5)

7- { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) } (6)

8- {لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23)} (7)

9- { وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57)} (8)

وهكذا أوضح القرآن الكريم صنوف الناس الذين لا يحب الله تعالى سلوكياتهم، فالله لايبغض عبدًا إلا بسبب تمرده على الحق، ومنهم المفسدون في الأرض، وقد أمر الله تعالى بالصلاح والإصلاح، وصنف الكفار الذين كذّبوا رسله، والمتكبرين الذين كذّبوا بالآخرة ، وكذا الظلم فالله لايحب الظالمين ، والقائمة تطول، ليعلن القرآن صراحة ، أن طاعة الله وطاعة رسوله هما طريق حب الله تعالى ، ومن تولى فقد خسر حب الله قال تعالى:

{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) } (9)

حذّر الله تعالى فريقًا آخر وهم من المؤمنين من الانزلاق في المعاصي، فيتبعوا هوى النفس، فتقودهـم الى الانتقام، والقتل والعبث في مواجهات الكافرين ، فيضع الله تعالى ضوابط اللقاء بالكافرين فيقـــــول:

{ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) }(1)

---

(1) سورة البقرة: (الآية: 222).

(2) سورة آل عمران: (الآية: 76).

(3) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ج1/ 222)

(4) البخاري، صحيح البخاري –كتاب الجهاد والسير – باب: ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ج4/ص54 – رقم الحديث: 2976).

(5) سورة البقرة: (الآية: 205).

(6) سورة البقرة: (الآية: 276).

(7) سورة النحل: (الآية: 23).

(8) سورة آل عمران (الآية 57)

(9) سورة آل عمران: (الآية: 32).

فمن قاتل المسلمين ، فالأمر أن ادفعوا عن أنفسكم، ومن ظهر منه السلم والأمن، فقد حذّر الله من التعرض لهم، فإنما يعدّ اعتداءً، والله يبرأ من المعتدي، وجعل عقوبته قاسية وهي حرمانه من حبه تعالى والمؤمن الحق يتأذى ويعدها أعظم عقوبة.

أوصى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بإخبار من عاهد من الكفار، إذا ارتاب في أمرهم، أي خشي منهم نقض العهد،(فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم)(2) وإلا فإنها تعدّ خيانة والله لا يحب الخائن، وقد صرّح الله تعالى بهذا فقال:{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) } (3)

في تنظيم حياة الناس وشؤونهم بين ملبس ومأكل، وضع الله تعالى منهجًا وسطيًا يتبنّاه الناس من غير تقتير، ومن غير إسراف فقال : { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)} (4)

ومن هنا نخلص الى حقيقة واضحة مفادها : أن حُب الله تعالى إنما ورد في مواضع تأديب الناس، وتهذيب أخلاقياتهم، ليكون حب العباد لربهم عز وجل حاضرًا مع أزواجهم وأهليهم، ومع أصحابهم، وفي معاملاتهم وكل شؤونهم بل مع أعدائهم،، وإنما صفة الحب عند الله تقوم على مشاعر الطمأنينة، والاستقرار النفسي في الدنيا، فتملأ قلب العبد، وتعصمه من غواية الشيطان، فينصلح على حب الله حالُ الناس.

المطلب الثالث: صفة الضحك والبشبشة

المعنى اللغوي للضحك:

ضَحِكَ: الضَّادُ وَالْحَاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى بُرُوزِ الشَّيْءِ، وَهُوَ دَلِيلُ الِانْكِشَافِ وَالْبُرُوزِ(5).

وفسّر ابن عباس رضي الله عنه الضحك: بالعَجَب (6) في قوله تعالى حكاية عن امرأة ابراهيم عليه السلام : { وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) } (7)

و على هذا فسّر الْخَطَّابِيُّ رحمه الله صفة الضحك فقال:

الضَّحِكُ الَّذِي يَعْتَرِي الْبَشَرَ عِنْدَمَا يَسْتَخِفُّهُمُ الْفَرَحُ أَوِ يستفزهم الطَّرَبُ، وهو غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وأما صفة الضحك عند الله تعالى والواردة في حديث النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، إذ يقول: (يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ)(8)

فيفسر الخطابي رحمه الله الضحك هنا بالرضا فيقول: (وَإِنَّمَا هو مَثَلٌ ضُرِبَ لِهَذَا الصَّنِيعِ الذي يحل محل العجب عند البشر، وَمَعْنَاهُ (أي الضحك في الحديث): هوالْإِخْبَارُ عَنْ رِضَا اللَّهِ بِفِعْلِ أَحَدِهِمَا وَقَبُولِهِ لِلْآخَرِ وَمُجَازَاتِهِمَا عَلَى صَنِيعِهِمَا بِالْجَنَّةِ مَعَ اخْتِلَافِ أحوالهما)(9)

وهو قول السيوطي رحمـه الله : (إن الضحك عَلامَة الرضاء فَإِذا رَضِي رَبنَا عَنَّا كَيفَ يدخلنا النَّار وهي دَار الخزي)(10)

(1) سورة البقرة: (الآية: 190).

(2) الطبري، جامع البيان (ج14/ص25).

(3) سورة الأنفال: (الآية: 58).

(4) سورة الأعراف: (الآية: 31).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، (ج3/ص391).

(6) الفيروز آبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، (ص188)

(7)– سورة هود: (الآية: 72).

(8) البخاري، صحيح البخاري – كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ: الكَافِرِ يَقْتُلُ المُسْلِمَ، ثُمَّ يُسْلِمُ، فَيُسَدِّدُ بَعْدُ وَيُقْتَلُ (ج4/ص24 – رقم الحديث: 2826).

(9) الخطابي، أعلام الحديث شرح صحيح البخاري (ج2/ص1367).

(10) السيوطي، شرح سنن ابن ماجه (ص16).

وهو ما ذهب اليه ابن حجر رحمه الله في تفسير ضحك الله تعالى للصحابي وزوجته بالرضا حين آثرا ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث فقال: (ونسبة الضَّحك والتعجب إلى الله مجازيــة، والمراد بهما الرضا بصنيعهمــا)(1)

وقد ذهب طائفة من العلماء الى تأكيد صفة الضحك لله تعالى على الحقيقة وفق المعنى اللغوي الذي تعرفه العرب :

يفرد ابن خزيمة رحمه الله بَابًا لصفة الضحك، ينزّه الله تعالى عن التشبيه والكيفية بعنوان: ذِكْر إِثْبَاتِ ضَحِكِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِلَا صِفَةٍ تَصِفُ ضَحِكَهُ، فيقول : (وَلَا يُشَبَّهُ ضَحِكُهُ بِضَحِكِ الْمَخْلُوقِينَ، بَلْ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَضْحَكُ، وَنَسْكُتُ عَنْ صِفَةِ ضَحِكِهِ) (2).

ويؤيد الامامُ أحمد رحمه الله مذهبَ ابن خزيمة في إثبات الضحك، وتنزيه الله تعالى عن التشبيه فيقول: (يضحك الله ولا يُعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وبتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون والمشبهة، ولا يحده أحد .)(3)

ومن هنا يلزم منا الاعتراف بعد هذا بأن الضحك مظنة الفرح والرضا والمحبة لهذا العمل أو ذاك ، من حيث المعنى العام، وهو صفة من من صفات الأفعال ثابتة لله تقوم به تعالى ، وهو ضحكٌ كما تفهمه العرب من لغتها كما قلنا، ضحك حقيقي، غير أنه (لَا يُشْبِهُهُ ضَحِكُ الْمَخْلُوقِينَ عِنْدَمَا يستخفُّهم الْفَرَحُ،) (4) والله تعالى يضحك متى يشاء ولحكمة ، وعند وقوع ما يقتضيه ؛ وضحكه يليق بذاته ، وهو صفة كمال؛ لأن الضحك في موضعه (أي عند البشر) صفة كمال، وكل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به، (وهذا الدليل يسميه أهل العلم قياس الأولى).(5)

لم يرد الضحك في القرآن وصفاً لله تعالى، بينما هو ثابت في صحيح السنة، فقد ورد صفة الضحك لله تعالى، وثبتت في أكثر من حديث، وإذن فهي صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجلَّ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة بالأحاديث الصحيحة.

و كذاك يضحك عندما يثب الفتى   من فرشـــه لتلاوة القـــرآن

وكـذاك يضحك من قنوط عباده   إذ أجدبوا والغيث منهم دان [6]

وأما البشبشة: فهي الأخرى صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ لله تعالى، لم ترد في الكتاب،غير أنها ثابتةٌ في صحيح السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، إذ يروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (لا يوطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله به حتى يخرج، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم .) (7)

قال ابن قتيبة رحمه الله: قولـه: يتبشبش، هو من البشاشة، في وزن: يتفعَّل (8)

ولأن معنى البشبشة يوحي بمعنى الضحك والفرح، فقد جمعنا الصفتين في مبحث واحد (فالعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة، وهشاشة وفرحا) [9]

(1) ابن حجر، فتح الباري لابن حجر بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُؤْثِرُونَ على أنفسهم وَلَو كَانَ بهم خصَاصَة (ج7 /ص120).

(2) ابن خزيمة، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (ج2/ص563).

(3) الرباط، الجامع لعلوم الإمام أحمد، (ج3/ص397).

(4) هرّاس، شرح العقيدة الواسطية، (167).

(5) المصلح، شرح العقيدة الواسطية، (11 ج/6) رقم الجزء هو رقم الدرس،ومعنى قياس الأولى: كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه منه المخلوق فإن تنزيه الخالق عنه من باب أولى،(شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح (3/3) ويجب التثبت هنا: فلا نصف الله بوصف لم يرد في الكتاب أو صحيح السنة، ولا ننفي به وصفًا وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

(6) ابن القيم، متن القصيدة النونية (ص31).

(7) أحمد، مسند أحمد (ج8/ 286 رقم الحديث 8332) و سنن ابن ماجه (ج512/1 رقم الحديث 800) واللفظ له ، وقال الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (ج1 /323) ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (ج1/ 242رقم الحديث 303) .

(8) ابن قتيبة، غريب الحديث (ج414/1)

(9) أبو يعلى الفراء، إبطال التأويلات لأخبار الصفات (ص 243)

مقاصد الاعتقاد بإثبات صفة الضحك والبشبشة لله تعالى:

إنّ من آمن بالله تعالى لزمه الإيمان بصفة الضحك، فإنما الضحك من علامات رضاه ورحمته تعالى ولطفه بعباده، والوثوق أبدًا بأن فتح الله قريب، فقد جاء عَنْ أَبِي رَزِينٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَـــالَ: (ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، وَقَالَ: قُلْتُ: أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قُلْتُ: لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا) (1) وهذا ما يوجب الثقة بالله ، والأمل بالتيسير بعد كل عسر.

ولنتأمل سلوكيات ومواقف للعبد ضحك الله تعالى منها لعلنا أن ندرك مقاصدها:

1- السعي والاجتهاد للعمل فيما يرضي الله تعالى ويُضحكه، فإذا ضحك الله لعبدٍ على فعل، لزمنا العمل به قدر طاقتنا، عسى أن يرضى الله وننعم بضحكه تعالى، وقد علّمنا رسوله صلى الله عليه وآله، أن خلق الإيثار في العبد مما يرضي الله ويضحكه ففي الصحيح، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا)، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا) (2) فَأَنْـزَلَ اللَّهُ: { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) } (3)

التفكر بالعودة والإنابة الى الله، والتوبة من الذنوب، والتكفير عنها بالعمل في سبيل الله خالصًا، فذاك باب الخير يفتحه الله عسى أن ينال رحمته، ويرضى عنه، لاسيما في موقف عظيم الأهمية، وهو من أزهق نفسَ مؤمنٍ بغير حقٍ، فإن الله برغم ثقل ما أقدم عليه فهو

يفرح وبل يضحك لتوبته ويصدق التوبة، كما تقدم من حديث (يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ)

2- ولنصل إلى واقعة عظيمة الدلالة، في مشهد من مشاهد يوم القيامة، يضحك الله تعالى في حوارٍ مع عبد هو آخر أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، يرويه النبي صلى الله عليه وآله (... فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو الله حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ،...) (4) ويتضح من الحديث إلحاح ذلكم العبد في دعاء الله حتى ضحك الرحمن، وهو مظنة عفوه وتوبته تعالى، وهذا يلقي في النفس حبًا لله تعالى، وتأدبًا، فلا يعصي ولا يفجُر ولا يُغضب ربَّه، أملًا برحمته وكرمه يوم القيامة.

---

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه (ج1/ص64 – رقم الحديث: 181)، مسند أحمد، مسند المدنيين /حديث أبي رزين (ج26/ص377 رقم الحديث: 16201)، الدارقطني، الصفات (ص27/ الحديث 30) واللفظ لابن ماجه. الحديث رجال إسناده كلهم ثقات غير وكيع بن حدس، ووكيع هذا قال عنه ابن حجر في"التقريب"(581) (مقبول) من الرابعة، وذكره ابن حبان في الثقات (ج5/ص496) وقال الذهبي في الكاشف (350/2) وُثق. وانتصر له ابن القيم بقوة، فقال رحمه الله: (هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ جَلِيلٌ، تُنَادِي جَلَالَتُهُ وَفَخَامَتُهُ وَعَظَمَتُهُ (أي ألفاظ الحديث) عَلَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَرَوَاهُ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، وَتَلَقَّوْهُ بِالْقَبُولِ، وَقَابَلُوهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالِانْقِيَادِ، وَلَمْ يَطْعَنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِيهِ، وَلَا فِي أَحَدٍ مِنْ رُوَاتِهِ.) وحسنه – أيضا – بطرقه : الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (2810)

(2) البخاري، صحيح البخاري ،كتاب مناقب الأنصار ، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} (ج5/ص34 رقم الحديث 3798)

(3) سورة الحشر: (الآية: 9).

(4) مسلم، صحيح مسلم – كِتَابُ الْإِيمَانَ – باب: معرفة طريق الرؤية (ج1/ص163 – رقم الحديث: 299).

المطلب الرابع: صفة العدل

في المعنى اللغوي:

فسّره ابن فارس رحمه الله بقوله: (الْحُكْمُ بِالِاسْتِوَاءِ، وَالْعَدْلُ: نَقِيضُ الْجَوْرِ، تَقُولُ: عَدَلَ فِي رَعِيَّتِهِ، الْعَدْلُ من الناس: الْمَرَضِيُّ الْمُسْتَوِي الطَّرِيقَةِ والعدل.) (1)

وقال الجوهري رحمه الله : (العَدْلُ: خلاف الجَوَر، وعادَلْتُ بين الشيئين. وعَدَلْتُ فلاناً بفلان، إذا سويت بينهما.) (2)

وقال فيه الراغب رحمه الله : (العَدَالَةُ والمُعَادَلَةُ : لفظٌ يقتضي معنى المساواة ، والعَدْلُ والعِدْلُ يتقاربان، لكن العَدْلُ يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، وعلى ذلك قوله تعالى: { ... أوعدلُ ذلك صِياما ....}) (3)

ومن مقتضى العدل على الانسان، توحيده ربَّه، وإخلاص الطاعة له، وأن لا يتهم الله في أمر من أمور الدنيا ، وهذا ما أكده سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ قال: التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه.(4)

العَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ وَالحُكْمِ فِي المِيزانِ

فعلى الصراط المستقيم إلهنا قولا وفعلا ذاك في القرآن(5)

ويُظهر الشيخ الحسون عِظَمَ أهمية العدل، وإثباته صفة لله تعالى فيقول: بالعدل يتم التوحيد. (6)

والعدل صفة الله: فقد ثبت وصفه تعالى بالعدل في أفعاله، في الكتاب وصحيح السنة، وهي من أظهر صفات الكمال لله، فالكون يشهد بكمال عدالته تعالى، وترفّعه عن الظلم، فمن الأدلة العقلية على عدالته تعالى ، أن الظلم لا ينشأ إلا عن جهلٍ، أو هوىً في النفس، أوحاجةٍ ، وقد علمنا أنه تعالى: حكيمٌ عن علمٍ، وقادر لايعجزه شيءٌ، وهو غني عن العالمين، وتُصدّق آياتُ القرآن عدل الله، وأمره تعالى بإقامة العدل بين العباد أفرادًا وجماعاتٍ فقال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) } (7)

وآيات أخر تنفي عنه تعالى الظلم، نحو قوله:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40)} (8)

مقاصد الاعتقاد بصفة العدل عند الله تعالى:

01وجوب اليقين أن الله تعالى عدلٌ قضاؤه، عدلٌ حُكْمه، عدل في خلقه، في رزقه، والكون يشهد بعدله تعالى، فهي صفة كمال وجلال، والايمان بها يوقع في القلب مقاصد، وسنطوف على آيات القرآن الدالة على كمال عدله قال تعالى: { ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44) } (9)

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، (ج4/ص246).
(2) الجوهر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ت 393ه) (ج5/ص1760).
(3) سورة المائدة (الآية 95) . المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ج551/1)
(4) الشريف الرضي، نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين (الحكمة 470 ص 755).
(5) ابن القيم، نونية ابن القيم – في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت (ص210).
(6) الحسون، العدل عند مذهب أهل البيت عليهم السلام، الفصل الأول العدل في أفعال الله تعالى (ص20).
(7) سورة الحجرات: (الآية: 9).
(8) سورة النساء: (الآية: 40).
(9) سورة يونس: (الآية: 44).

وهنا حوار لله تعالى مع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية لقلبه، ليقطع له باستحالة إيمان من كفر من قومه، فقد سلب الله سمعهم وأبصارهم، ومع ذلك كله فالله تعالى ماظلمهم، ولكن هم من اختار الصدود، والتكذيب، قال البغوي رحمه الله في تفسيرها: (إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُسْمِعَ مَنْ سَلَبْتُهُ السَّمْعَ، وَلَا أَنْ تَهْدِيَ مَنْ سَلَبْتُهُ الْبَصَرَ، وَلَا أَنْ تُوَفِّقَ لِلْإِيمَانِ مَنْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُؤْمِنَ، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ) (1) فالظلم في الآية بالمدلول اللُّغَوِيِّ ، وَهُوَ نَقْصُ مَا تَقْتَضِيه كمال الْخِلْقَة، والله تعالى خلق الانسان، وأنعم عليه بأسباب الهداية، من عقل وسمع وبصر، وهذه آلات التمييز عند الانسان، وذلك العدل بكماله، فاستغنى واختار الاستسلام لغواية الشيطان بدل عقله، فسلبه الله تعالى عدلًا آليات الفهم، وفاقًا لمراده– أي الاستغناء عن أسباب الفهم –، وهذا هو العدل الإلهي.

02وأخبر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ بصفة عدله تعالى، فقد حكى ابن مسعود رضي الله عنه لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآ له وسَلَّمَ أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)(2) ليؤكد صفة العدل وكمالها عند الله، فإن لم يعدلْ ربُّنا، فلن يعدل أحد بعده.

03وتتجلى مظاهر العدل الإلهي بكمالها يوم الحساب،{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)} (3) ليؤكد العدل مع العباد في كل صغيرة، فضلًا عن كبيرة، وقد أكّد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لربه صفة العدل، في مشهد الحكم حتى مع الدواب فيُحذّر الأمةُ بقوله: لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ (4)

04ومن مظاهر عدله تعالى مع الظالم، أنه يمهله ليرتدعَ ويتوب، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ) ، ثُمَّ قَرَأَ { كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) } (5)

ومظاهر عدل الله تعالى توقع في القلب: حبًا لله تعالى، وطمأنينة في قلب العبد، في الدنيا، فإن سُلب حقًا، أو أعتُدي عليه في مال أو عرض، فإن موعده مع من ظلمه يوم الفصل أما الحَكم العدل، وعند الله تجتمع الخصوم.

كما تورث في القلب سعيًا واجتهادًا لإقامة العدل في الحياة الدنيا، مع الأسرة مع الزوجة، مع الجار، فذلك تخلّق العبد بصفة العدل، فالله يحب العدل، بل ويأمر بإقامة العدل، فقد قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)} (6)

فبالعدل يتلمس العبد إنسانيته، ويستيقن أنَّ له مقامًا كريمًا كفَله الله، مهما صغُر شأنه، وبالعدل تقوم الأمم وينصلح عليه حال الدنيا، وبخلافه فإن الله توعد الأمم بالهلاك إذا ما تفشّى فيها الظلم فقال : { وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59) } (7)

---

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (ج2/ص421).

(2) البخاري، صحيح البخاري – بَابُ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ (ج4/ص3150 – رقم الحديث: 3150).

(3) سورة الأنبياء (الآية 47)

(4) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، باب تحريم الظلم (ج16/ 137 رقم الحديث 2582) وَأَمَّا الْقِصَاصُ مِنَ الْقَرْنَاءِ لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاصِ التكليف إذ لا تَكْلِيفَ عَلَيْهَا بَلْ هُوَ قِصَاصُ مُقَابَلَةٍ.

(5) سورة هود: (الآية: 102).

(6) سورة النساء: (الآية: 58).

(7) سورة الكهف (الآية 59)

كما توحي الكثير من أسماء الله تعالى وصفاته بذات المعاني لتلقي في القلب محبة الله تعالى والشوق للقائه نحو الرحمن ، الرحيم ، اللطيف ، الودود ، و كذا أسماء الله تعالى المؤمن السلام والذي نسأله تعالى أن يؤمننا يوم لقائه راضياً عنا غير غضبان فإن قست قلوبنا وعصينا فعذرنا في رجاءِ مغفرته هو حبنا له تعالى وثقتنا بعفوه ولأننا موحدون له في زمن الشرك .

الخاتمة:

للإيمان بصفات الله تعالى مقاصد عظيمة يصعب إحصاؤها ولكن نستطيع أن نجمل القول بعظم أهمية العلم بالمقاصد ، وأوْضح تبيان لهذه الأهمية يعرضه الامام الشاطبي (ت 790هـ) رحمه الله بقوله: (الْمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ مِنْ وَضْعِ الشَّرِيعَةِ إِخْرَاجَ الْمُكَلَّفِ عَنْ دَاعِيَةِ هَوَاهُ، حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ اخْتِيَارًا، كَمَا هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ اضْطِرَارًا) (1)

فاذن هو تحرير الانسان من سلطان هواه ليحقق العبودية الخالصة لربه المعبود، وهذا هو المقصد الحق لأحكام الشريعة بعامة، وهذا مرتهن بالعلم بالمقصد الأسمى للعقيدة الاسلامية وهو توحيد الله وإفراده بالسلطان.

ومن هنا ندرك أن المقاصد هي من أهم مقومات النجاح للعمل، بل هي روح العمل، وهذا ما وصفها به الشاطبي رحمه الله، إذ قال:

فصلاح الأمة وقيام حضارتها، لا يتحققان إلا بتفعيل الفكر المقاصدي، ووضع منهاج وقواعد لاستنباط المقاصد، والعمل بمقتضى مقصده.

فالاتفاق على حكمة الشريعة بكل مفاصلها واقع ظاهر والقرآن أعلن عن ذلك الضبط، أي الحق والحكمة في التشريع كله (فهذه الشريعة المعصومة ليست تكاليفها موضوعة حيثما اتفق لمجرد إدخال الناس تحت سُلطة الدين، بل وُضعت لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا معا)(2) وبغير ذلك يكون عبثًا يتنزه الله عنه، فما خلق الله تعالى الكون وما أمر الله ولا نهى إلا لحكمة، وإن تقاصرت عقول البشر عن إدراكها، ومن اعتقد بهذا فقد ضلّ ، يؤكده القران قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) } (3) ، والسعي والتفكر في مقاصدها مشروع لصالح البشرية في رحلتها الى الله تعالى، لعلها تفيد في تهذيب السلوك الانساني مما يفيض خيرًا على المجتمع عبر أمن يتحقق، وعدل يشيع، وأمانة تصان، وكرامة تحفظ، ويتحقق كل هذا في حال أدرك العبد غايات الشرع وحكمته، وكشف أسرارها، فيقوم لله بعلم وفكر ودراية ،ويعلم الحكمة من أداء ما عليه.

كما ويحقق العلم بالمقصد واقعيةً يريدها الإسلام، ليمنح أتباعه ترشيدًا في السلوك وتعصمه من الغلوّ والتشدد في أحكام الدين ، يقول أبو عبد الله سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ الكوفي (97- 161هـ) رحمه الله : إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ، فَأَمَّا التَّشْدِيدُ فَيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ)(4)

من نتائج وتوصيــات البحث :

أولا ينبغي التوقف والنظر في أولويات علم المقاصد ، إذ يجب الوثـوق بأن المقاصد علم لا تنحصر أهميته في الفقه ، بل إن العلم بالمقاصد العقدية أعظم أهمية من مقاصد المعاملات والعبادات العملية ، وإنما سلامة الاعتقاد هو الموجّه الهادي الى صالح العمل.

أن مبنى العقائد كلها على وجوب رعاية مصالح العباد ، ودفع المفاسد في الدين والدنيا.

---

(1) الشاطبي، الموافقات (ج2/ 289)

(2) الشاطبي، الموافقات، (المقدمة ص 5)

(3) سورة ص (الآية 41و42) .

(4) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (ج1/ 784).

إن تفعيل الفكر المقاصدي في العقائد يُعَدّ إعلانًا لبدء انتفاضة فكرية ويبعث الروح في صفوف المفكرين من الأمة ، لتصحيح الرؤية العقدية الاسلامية، عند المسلمين .

كما إن معرفة مقاصد العقيدة الاسلامية تعزز مكانتها التي تراجعت عن دورها الإنساني في صلاح البشرية .

المصادر والمراجع

ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، (1424 هـ – 2004 م)، *الإقناع في مسائل*، تحقيق حسن فوزي الصعيدي (د. ط)، (د. م): الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

ابن بَطَّة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، (1415هـ الى 1426هـ)، الإبانة الكبرى تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، (د. ط)، الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (1379 هـ)، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب (د. ط)، بيروت: دار المعرفة.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(1421هـ– 2001م)، مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.1

ابن عطاء الله، أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله السّكنْدري (1408هـ – 1988م)، كتاب *الحكم العطائية* شرح ابن عباد النّفزي الرُّندي، إعداد محمد عبد المقصود هيكل، ط1، القاهرة: مؤسسة الأهرام .

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (1399هـ – 1979م)، معجم *مقاييس اللغة* تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، (د . ط)، بيروت: دار الفكر.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (1397 هـ)، *غريب الحديث*، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط1، بغداد: مطبعة العاني.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، (1393هـ– 1973)، *كتاب الفوائد*، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، (1422هـ – 2001م)، *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة* اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي تحقيق سيد إبراهيم ، ط1، القاهرة: دار الحديث.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، (1411هـ – 1991م)، *إعلام الموقعين عن رب العالمين* تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، (1417هـ)، *متن القصيدة النونية*، ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (د . ت) *سنن ابن ماجه* ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د . ط) مصر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (د . ت)، *شرح سنن ابن ماجه للسيوطي* مجموع من 3 شروح (مصباح الزجاجة للسيوطي) و (إنجاح الحاجة لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي) و (ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات لفخر الحسن بن عبد الرحمن لحنفي الكنكوهي)، (د. ط)، كراتشي، قديمي كتب خانة.

أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطي، (1419هـ – 1999م)، *الفقه الأبسط من كتاب الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)*، ط1، الإمارات العربية المتحدة: مكتبة الفرقان.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (1394هـ– 1974م)، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، القاهرة: دار السعادة، بيروت: دار الكتب العلمية.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (1403هـ – 1983م)، *شرح السنة* تحقيق : شعيب الأرنؤوط– ، محمد زهير الشاويش، (د . ط)، بيروت: المكتب الإسلامي.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (1417 هـ – 1997 م)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي*، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط1، (د . م): دار طيبة للنشر والتوزيع

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (1423 هـ – 2003 م)، *شعب الإيمان* تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط1، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند .

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر، (1401هـ)، *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*، تحقيق أحمد عصام الكاتب، ط1، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

تبريزيان، علاء الحسّون، (1429هـ)، *العدل عند مذهب أهل البيت عليهم السلام*، ط1، (د. م): المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي، (1422هـ–2002م)، الصفات الإلهية *تعريفها، أقسامها*، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية: أضواء السلف.

خالد الرباط، سيد عزت عيد، (بمشاركة الباحثين بدار الفلاح)، (1430 هـ – 2009 م)، *الجامع لعلوم الإمام أحمد*، ط1، الفيوم– جمهورية مصر العربية: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، (1409 هـ – 1988 م)، *أعلام الحديث شرح صحيح البخاري* ، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

الديلمي، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء، (د . ت)، *معاني القرآن* تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

الراغب الأصفهانى أبو القاسم الحسين بن محمد، (1412 هـ)، *المفردات في غريب القرآن* تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.

السفاريني، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي *(1402 هـ – 1982 م)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني ، ط2، دمشق:* مؤسسة الخافقين ومكتبتها.

السَّقَّاف، علوي بن عبد القادر، (1420 هـ – 1999 م)، *صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة* ، ط1، الدمام: دار ابن القيم للنشر والتوزيع.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، (1986م)، *الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر*، تحقيق: الشيخ محمد ياسين عبدالله، (د . ط)، بغداد: مكتبة الفكر العربي.

الشريف الرضي، السيد محمد بن الحسين بن موسى، (1390هـ)، *نهج البلاغة* تحقيق السيد محمد الحسيني الشيرازي، والدكتور صبحي الصالح (د . ط)، مصر: دار الكتاب المصري .

الصاوي، أحمد بن محمد المالكي، (1431هـ- 2010م)، *شرح الصاوي على جوهرة التوحيد* تحقيق الدكتور عبد الفتاح البزم، ط7، بيروت: دار ابن كثير.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (1422 هـ - 2001م)، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1 مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

عبد الغفار، محمد حسن، (2011م)، *شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة*، تاريخ الاطلاع 2019/5/4، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net .

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، (1421هـ - 2001م)، *القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى* ، ط3، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

العلوي، السيد عادل، (١٤١٨ هـ)، *طالب العلم والسيرة الأخلاقية، ط1*، إيران: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، مطبعة النهضة.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (1407 هـ - 1987 م)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (د . ت)، *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، (د . ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.

القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، (د . ت)، *إبطال التأويلات لأخبار الصفات*، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، (د . ط)، الكويت: دار إيلاف الدولية.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، (1414 هـ - 1994 م)، *جامع بيان العلم وفضله*، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، ط1، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

محمد بن أمان بن علي الجامي أبو أحمد (1408هـ)، *الصفات الالهية في الكتاب والسنة*، ط1، المدينة المنورة، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية.

المصلح، خالد بن عبد الله بن محمد، (1417هـ)، *شرح العقيدة الواسطية*، تاريخ الاطلاع 2019/5/4، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net .

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (1410هـ-1990م)، *التوقيف على مهمات التعاريف، ط1*، القاهرة: عالم الكتب.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (1421 هـ -2001م)، *السنن الكبرى*، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي اشراف شعيب الأرناؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

هرّاس، محمد بن خليل حسن، (1415 هـ)، *شرح العقيدة الواسطية* ، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، ط3، الخبر: دار الهجرة للنشر والتوزيع.